

شبتاي تسفي الذي نادى بالترخيضية، وبإسقاط الأوامر والنواهي، وبدأ في ممارسات جنسية كانت تُفسَّر تفسيراً رمزياً من قبل أتباعه. وبعد إسلامه ظهرت الحركات الشبتانية، خصوصاً الدوئمة والفرانكية، التي جعلت الإباحية الجنسية طقساً دينياً أساسياً، والتي زعمت أن إدراك الإله من خلال صور مجازية جنسية واضحة. وكانوا يقولون إنه «كلما ازداد الإنسان انحلالاً ازداد ارتفاعه وسموه، وكلما ازداد خرقه للشرائع كان هذا دليلاً على وصوله واقترابه». وقد آمنوا بما يُقال له «العالياه» من خلال «اليريداه»، أي الصعود من خلال الهبوط. وقد ورثت الحركة الحسيدية معظم هذه الاتجاهات الإباحية الترخيضية ونادت بما أسمته «عفوداه بجشيموت»، أي «الخلاص بالجسد»، وإن حاولت تفسير ذلك تفسيراً رمزياً.

وقد كان هذا هو الإطار الفكري السائد بين يهود أوروبا عشية الانعتاق، وكان الفكر الشبتاني متغلغلاً تماماً حتى في صفوف القيادات الحاخامية، كما أن القبَّالاه كانت قد هيمنت تماماً على الوجدان الديني اليهودي وكانت تُعدُّ أساساً للتشريع، أو على الأقل لتفسير الشعائر والشرائع.

ومن الواضح أنه لا يمكن فهم ظاهرة مثل فرويد إلا في إطار الفكر القبَّالي. فالواقع أنه برغم اختياره أسطورة يونانية (أوديب) ومُصطلحات لاتينية (إجو، وسوبر إجو، وإيد ego, super ego, and id)، فإن مُصطلحه الكامن وصوره الأساسية مستقاة من التراث القبَّالي الذي درسه وهو في فيينا، التي كان يوجد فيها واحد من أهم القبَّالين في عصره (ويقال إن كلمة «إيد» هي اختصار لكلمة «بيد» اليديشية، أي يهودي). كما أن حديث رولان بارت عن لذة النص كلذة جنسية له ما يناظره في الفكر القبَّالي.

ولذا، فليس غريباً أن نجد أن سلوك أعضاء الجماعات اليهودية في الغرب يختلف بعد عصر الانعتاق (القرن الثامن عشر) عنه قبله. والواقع أن سقوط الجيتو، واليهودية الحاخامية، وانتشار القبَّالاه، جعلت اليهود مرشحين لدخول عصر الإباحة والإباحية الحديثة من أوسع أبوابه. وقد ساعد على ذلك تعثُّر